رحلات المشرق
(٢)

الرحلة المباركة

بقلم
الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

٢٠٠٠م

الرحلة المباركة

تأليف وإخراج : الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
سنة الطبع : الطبعة الأولى ٢٠٠٠م
الناشر : مركز الإسكندرية للكتاب
الترقيم الدولي :
رقم الإيداع :

الرحلة المباركة

هي الرحلة إلى القدس وبيت المقدس والمسجد الأقصى٠٠٠

وأين بيت المقدس ؟٠٠٠

إنه في مدينة القدس التي تُسمى مدينة المدائن ومدينة مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ فهي الأرض التي اختارها الله عز وجل لتكون قبلة الأنبياء من قبل سيدنا محمد ، وكذلك فهي أرض الأنبياء ، وهي الأرض التي كان المسلمون يتوجهون إليها في صلواتهم قبل تغيير القبلة إلى المسجد الحرام ٠٠

ولذلك ، فهي مدينة مقدسة عند المسلمين ٠٠ وعند المسيحيين وعند اليهود أيضاً ٠٠٠

فهيا بنا يا أصدقائي ، نطير إلى هذه البقعة المقدسة من العالم ، لنتعرف معاً على أهم معالمها ٠٠٠

مدينة القدس

مدينة مقدسة بفلسطين ، كان أول اسم عُرفت به هو (أور سلام) أي مدينة السلام ، وسماها اليهود أور شليم ، ومن أسـمائها القديمـة يبوس ، وكذلك تحول اسم المدينة إلى إيلياء نسبة للملك البيزنطـي إيلوس هدريانوس ٠

وعاش فيها الكثير من الأنبياء مثل سيدنا إبراهيم الخليـل وسـيدنا داود وسيدنا سليمان الذي أقام هيكل سليمان بالمدينة المقدسة والذي أزاله الملك نبوخذ نصر ملك الكلدانيين عام ٥٨٦ قبل الميلاد ، ثم سمح الملك الفارسي " دارا " لليهود بإعادة بنائه ، ولكن الإمبراطور الروماني هدريانوس قام بتدمير القدس والهيكل وحرثها بالمحاريث ، وسيدنا المسيح عيسى بن مريم وغيرهم ٠٠٠

وتقع القدس على سلسلة جبال ضمن هضبة تعلو عن سطح البحـر بحوالي ثمانمائة متر ، وتحيط بالمدينة عدة جبـال أشـهرها جبـل سكويس أو جبل المشارف من الشمال ، وجبل المكبر من الجنـوب وجبل الطور أو الزيتون من الشرق وجبل صهيون من الغرب ٠

وتقع مدينة القدس القديمة ضمن سور يحيط بها من جميع الجهات ، ويبلغ طوله أربعة كيلومترات وارتفاعه نحو اثنتي عـشر متـرا ، وله سبعة أبواب كبيرة مفتوحة أشهرها : باب العمود من الـشمال وباب المغاربة من الجنوب وباب سان استيفان من الـشرق وبـاب الخليل من الغرب ، وهناك الباب الذهبي في الجهة الشرقية ولكنـه

غير مستخدم منذ فترة طويلة ، وقد قام ببناء معظم أجـزاء الـسور الحالي للمدينة السلطان العثماني سليمان القانوني ٠

ومساحة مدينة القدس القديمة كيلومتر واحد ، أما مساحة مدينـة القدس كلها عام ١٩٤٨م " أي قبل قيـام الكيـان الـصهيوني فـي فلسطين " حوالي ٣١ كيلومتر مربع ٠

وبالقدس العديد من الأماكن المقدسة أشهرها : المسجد الأقـصى ، الذي كان مقصد رحلة الإسراء للنبي محمد صلي الله عليه وسـلم ، كما قال الله تعالي" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" الآية الأولى سورة الإسراء ، وأيضاً به كنيسة كبيرة هي كنيسة القيامة التي شيدتها الملكة هيلانه ملكة بيزنطة في حكم ابنها الإمبراطور قسطنطين ، وتقع وسط المدينـة وتضم درب أو طريق الآلام ، وهناك كنيـسة الجـسمانية وكنـائس وأديرة أخرى عديدة تملكها الطوائف المسيحية المختلفة ٠

وكان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وهو نبي كريم ، قد أقام في القدس الشريفة التي دخلها وعمره ثلاثين عاماً ، وأخـذ يلقـي تعاليمه لإنقاذ المجتمع من الرذائل ، وكان غضبه شديدا على حمـاة هيكل سليمان من اليهود الذين كانوا يقومون بعمل المنكرات داخـل المعبد قائلاً " إنهم جعلوا الهيكل مغارة للصوص والعصابات " ممـا دفعهم للتربص به ومحاولة قتله بالقدس حيث رفعه الله مـن هـذه المدينة المقدسة إلى السماء ٠

وعندما فتحها المسلمون عام ١٥ هجرية ، ذهب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بنفسه ليتسلم مفاتيح المدينة ، وكتب لأهلها وثيقة الأمان الشهيرة التي عاهدهم فيها على الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وشعائرهم ، وشهد على وثيقة الأمان أبو عبيدة الجراح وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وهم قادة الجيوش الإسلامية في فتوحات أرض الشام التي كانت تحتلها الإمبراطورية الرومانية ، وتغير اسم المدينة من إيلياء إلى القدس أو بيت المقدس ، أي البيت الذي يتطهر فيه المسمون من ذنوبهم ٠

واحتلت القوات الصليبية المدينة لمدة ثمانية وثمانين عاماً حتى حررها البطل صلاح الدين الأيوبي واستمرت القدس مدينة عربية إسلامية يمارس المسيحيون فيها عباداتهم بكل حرية واطمئنان ٠

المسجد الأقصى

هو منطقة إسلامية دينية كبيرة تقع وسط مدينة القدس القديمـــة ، ومساحتها كبيرة جدا حيث تبلغ حوالي ٤٤ ألف متر مربع ويطلـــق عليها منطقة المسجد الأقصى ، ويحيط به سور ضخم يصل ارتفاعه نحو أربعة أمتار ويصل سُمك حائط السور متـــران وربـــع المتـــر ، وتضم منطقة المسجد الأقصى عدة مساجد وأبنية منها : مسجد قبة الصخرة ومسجد عمر ومسجد قبلي ومجموعة من القباب والزوايـــا والمدارس والآبار ٠

ويشتمل سور المسجد على ١٢ باباً ولكل باب اسماً منهـــا : بـــاب فيصل وباب الغوانمة وباب الناظر وباب الحديد وباب حطـــة وبـــاب السلسلة وباب المطهرة وباب السلام وباب المغاربة وأبواب الأسباط والذهبي والقطانين ٠

وتقع مآذن الحرم القدسي على سوره ، وهناك ثلاثة مآذن هي مئذنة باب الأسباط ومئذنة باب الغوانمة ومئذنة باب السلسلة ٠

مسجد قبة الصخرة

أما مسجد قبة الصخرة فهو رائع الشكل ، عبارة عن بناء على شكل له ثمانية أضلاع متساوية ، طول كل ضلع عشرين متراً وارتفاعه عشرة أمتار وتتخلل الحوائط نوافذ زجاجية ذات رسومات ملونة بألوان جميلة وبه ستة عشر نافذة رائعة الجمال ، وهو مبني على الصخرة المشرفة التي تقع في منتصف المسجد تماماً ، وهي الصخرة التي صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينها ليلة الإسراء والمعراج ، وهي الصخرة التي بدأ منها رسول الله الرحلة المباركة إلى السماء : رحلة المعراج التي فرض الله فيها الصلاة على المسلمين ٠

وبناء مسجد قبة الصخرة من أهم المباني والآثار الإسلامية بالقدس ، ويعود بنائه إلى الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان الذي بدأ بنائه عام ٦٨٨م وانتهى منه عام ٦٩١م ٠

والصخرة المقدسة من صخور الجنة ، وهي امتداد للجبل المقام عليه المسجد ، ولكنها ترتفع عن السطح حوالي متر ونصف ، ويبلغ طولها ١٨ متراً وعرضها ١٣ متراً ، ويوجد أسفلها غار عبارة عن مسجد يُسمى مسجد الغار مساحته ٤,٥ مترا طولاً و ٤ أمتار عرضاً ، وبناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٥ هجرية ، ثم أعاد عبد الملك بن مروان بناءه بصورة مُبهرة ، حيث يدخل في بناءه الذهب والفضة والأحجار الكريمة والفسيفساء ٠

ومسجد قبة الصخرة له أربعة أبواب ، ويمتلئ بالأعمدة الرخامية الجميلة وعددها ٣٢ عموداً والعقود المبهرة ، وبه قبة رائعة تقع أعلى الصخرة وهي مصنوعة من الخشب المغطي بطبقة من الجص المزخرف بالفصوص الذهبية بألوان مختلفة تعتبر آية في الإبداع الفني ، ومكتوب حولها من الداخل آية الكرسي ، وترتفع هذه القبة عن سطح المسجد بحوالي عشرين متراً ، ويوجد أعلاها هلالاً طوله حوالي أربعة أمتار ، وهذه القبة مغطاة بصفائح الألومنيوم المطلي بالذهب ، ومكتوب حولها سورة الإسراء ، والصخرة المقدسة يحيط بها سور من خشب الأبنوس ارتفاعه حوالي ٢ متر ٠

وسطح المسجد مغطى بالفسيفساء الملونة التي يغلب عليها اللون الأزرق الفاتح ٠

ولذلك تُشاهد مسجد قبة الصخرة بتكوينه البديع وهندسته الخالدة ، فإذا كان الوقت نهاراً استمتعت بمنظر القبة وهي تتلألأ تحت أشعة الشمس النورانية ، أما إذا كان الوقت ليلاً والقمر بدراً فأنت على موعد مع لوحة ناطقة بكل أسرار الروعة والسحر والجمال ، وإذا بحثت عن الخشوع والرهبة فأنت تجدهما في الليالي التي تقضيها بمسجد قبة الصخرة ٠

مسجد قبلي

وهو ما يعرفه الناس بالمسجد الأقصى ، بناه عمـر بـن الخطـاب وأعاد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بنائه عـام ٨٦ هجريـة ، وهو مسجد مستطيل الشكل طوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً ، بـه ٥٣ عموداً رخامياً مستديراً بالإضافة إلى ٤٩ سارية مربعة ارتفاعها خمسة أمتار، كما توجد مشدات نحاسية منقوشة طولها ٩ أمتار بين العقود المحمولة على الأعمدة ٠

وللمسجد الأقصى تسعة أبواب ، وبه قبة للمسجد تقع فـي الجـزء الجنوبي منه عند المحراب ، وهي القبة الرئيسية ، وبالمسجد أيضاً قبة السلسلة ، وهي عبارة عن قبة صغيرة تشبه قبـة الـصخرة ، وهناك قبة الأرواح وقبة المعراج وقبة سليمان وقبة يوسـف وقبـة موسى وقبة برهان الدين ومنبره ، وهي فضية اللون ، ويوجد تحت المسجد بناء مشابه له تماماً تقام فيه الصلوات ٠

مسجد عمر

وهو مسجد صغير يجاور المسجد الأقصى بشكل عمودي عليه ، ويقال أن سيدنا عمر بن الخطاب صلى به أثناء استلامه لمفاتيح القدس ، ويوجد باب علي يمين محراب المسجد الأقصى يوصل إلى مسجد عمر ٠

وهناك مسجد صغير آخر يسمى مسجد البراق ، ويوجد على الجانب الغربي لسور الحرم الأقصى ، وهو مقام على موضع وضع البراق الذي أتى به سيدنا جبريل عليه السلام مع رسول الله من مكة إلى المسجد الأقصى ، ويستولي اليهود على الجانب الخارجي من حائط المسجد ويسمونه حائط المبكي ٠

ويوجد بساحة الحرم أيضاً العديد من الآبار مثل بئر قايتباي وسبيله وسبيل سليمان وشعلان والشيخ بدير وقاسم باشا ، والعديد من المدارس والزوايا منها زاوية الغزالي التي كانت مخصصة للإمام أبو حامد الغزالي ٠ويوجد داخل الحرم القدسي الشريف مكتبة إسلامية ضخمة بها مجموعة من الكتب والمخطوطات الإسلامية النادرة ، وكذلك يوجد متحفاُ للفن الإسلامي يحتوي على مجموعات نادرة من المخطوطات والقطع المعدنية التي تمثل الحضارة الإسلامية ، وكذلك بقايا منبر صلاح الدين الذي أحرقه أحد المتطرفين اليهود أثناء حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م ، وكان هذا المنبر جميلا صنع من الخشب دون أن يوضع به مسمار واحد ، وزاد من روعته طلاؤه الفاخر الذي بقي عليه منذ أن صنع حتى أُحرق٠

فضل المسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو أول القبلتين بالنسبة للمسلمين وثالث الحرمين الشريفين ، وله فضل كبير في حياة المسلمين والأمة الإسلامية ، وفي حياة المسيحيين أيضاً ، فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس " ٠

وكذلك فالصلاة بالمسجد الأقصى تعادل خمسمائة صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حيث قال الرسول الكريم " صلاة الرجل في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة وصلاته في مسجدي بألف صلاة وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة " ٠ وقال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم " أربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس " ، وقال الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم " من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس "

نعم يا أصدقائي : ففضل بيت المقدس فضل عظيم في حياتنا ، وكما قال أحد الصالحين " من مات مقيما محتسباً في بيت المقدس فكأنما مات في السماء ، وأول أرض بارك الله فيها بيت المقدس، وبشر الله زكريا بيحيى في بيت المقدس ، وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ببيت المقدس ، وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد ببيت المقدس ، وأُنزلت عليه

المائدة من السماء ببيت المقدس ، وأوصى إبراهيم وإسحاق عليهما السلام لما ماتا أن يدفنا ببيت المقدس ، وأوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند أن يدفن ببيت المقدس ، وصلى نبينا عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس وركب البراق إلى بيت المقدس " .

كما أن المسجد الأقصى مدرسة دينية واسعة ، وكذلك كان المسلمون يتباركون بالإحرام من بيت المقدس ، فعن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " من أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه " .

ويُسمى الرجل المسيحي الذي يقوم بزيارة مدينة القدس ، باسم المقدس ، لأنه حج إلى الأراضي المقدسة بالقدس ، حيث هناك العديد من الأماكن المقدسة للمسيحيين ، فهي مسقط رأس المسيح عيسى وأمه السيدة مريم بنت عمران عليهما السلام ، حيث ولد المسيح هناك ، وتحدث مع الناس صغيراً ، وأعلن تبرئة أمه مما لحق بها ، وأعلن أنه عبد الله ورسوله ، ثم جاء المسيح إليها ليدعو اليهود إلى العودة لعبادة الله الواحد الأحد، والبعد عن الفساد والمنكرات التي سادت اليهود في تلك الحقبة ، وبالقدس أيضاً ظهرت المعجزات التي أظهرها الله عز وجل على يد عيسى بن مريم مثل إحياء الموتى وشفاء المرضي من أمراضهم المستعصية وإخبار الناس بما يدخرون في بيوتهم ، وفي القدس أيضا اجتمع المسيح مع الحواريين " وهم أثني عشر شخصا من أقرب الناس حُبا للمسيح وآمنوا به وأخذوا

عنه الديانة المسيحية وتعهدوا بإبلاغها للناس " وذلك في جبل الزيتون ، وأنزل الله على الحواريين مائدة من السماء كآخر إعجاز للتدليل على صدق نبيه المسيح ، ورفع المسيح عيسى بن مريم إلى السماء من مدينة القدس وصُلب شبيهه الذي أبلغ عن مكانه لملك اليهود ، ولذلك ، فالقدس مدينة مقدسة للمسيحيين كما هي مقدسة عند المسلمين ...

فهيا يا صديقي لتتمتع بمشاهدة السحر والجمال والإيمان الخالص في مدينة القدس ...